

علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في إيالة الجزائر 1519-1830م - المرابطون والطرق الصوفية أنموذجاً -

د. سعودي أحمد

جامعة الأغواط

الملخص:

لقد أدرك العثمانيون منذ اتصالاتهم الأولى بالقوى المحلية في إيالة الجزائر العثمانية والممثلة في المرابطين وشيوخ القبائل، أن نجاحهم في حكم الجزائر أي العثمانيين، متوقف على مدى نجاحهم في التقرب والتعامل مع تلك القوى ذات الحضور الديني والاجتماعي القوي، ومدى تمكنهم من الحصول على دعم رؤساء ومشايخ ورموز تلك القوى، فبادروا لأجل ذلك إلى سياسة كان الهدف منها محاولة استمالة تلك القوى وكسب ودها إن أمكن، وإلا العمل على إخضاعها بمختلف الوسائل المتاحة والممكنة. وقد سجل لنا التاريخ اختلافا واضحا في المواقف والأدوات التي اعتمدها العثمانيون في التعامل مع تلك القوى الدينية على امتداد المدن والأرياف في مختلف الأقاليم، وفي مدى تجاوب تلك القوى مع تلك السياسة أو رفضها والتمرد عليها وهو ما سنتعرض من خلال هذا المقال العلمي.

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية - العثمانيون - الجزائر - الزوايا - القوى الروحية

Abstract:

Since their first contacts with local forces in the Ottoman Ile of Algeria and represented in the Almoravids and tribal sheikhs, the Ottomans have realized that their success in the rule of Algeria, the Ottomans, depends on their success in approaching and dealing with those forces with strong religious and social presence and their ability to obtain The leaders, leaders, and symbols of those forces supported them, so they resorted to a policy that was intended to attempt to win over these forces and win them if possible, otherwise work to subject them by various means available and possible. History has recorded a clear difference in the attitudes and tools adopted by the Ottomans in dealing with With those religious forces along the cities and countryside in different regions, and in the extent of the response of those forces with that policy or to reject and rebel against it, which will be presented through this scientific article

مقدمة:

فهم العثمانيون منذ بدايات تعاملهم مع القوى المحلية في الجزائر العثمانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العلية منذ 1519م، أن نجاحهم في حكم الجزائر واستمرار بقائهم فيها، مرتبط بقدرتهم على التقرب والتعامل مع تلك القوى ذات الحضور الديني والاجتماعي القوي، ومدى تمكنهم من الحصول على دعم رؤساء ومشايخ ورموز تلك القوى كما أن هذه القوى الدينية متمثلة في المرابطين وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية، هم أنفسهم وقفوا تجاه السلطة العثمانية في الجزائر من مسافات مختلفة، فبعضهم تبنى الولاء المطلق للسلطة والبعض الآخر دخل في صراع مع تلك السلطة الزمنية م، فيما إختار آخرون الحياد.

ولا شك أن مكوث العثمانيين في الجزائر الطويلة نسبيا (1519-1830م) وتغير طبيعة ونظام الحكم خلال الفترات المعروفة (البابليرايات - الأغوات - الباشوات - الدايات) ومرور المئات من الحكام على دفعة الحكم، كل ذلك يجعلنا لا نجد صورة نمطية واحدة لتلك العلاقة، بل لكل فترة وربما لكل حاكم علاقة مع تلك القوى الدينية بناء على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية لتلك المرحلة.

تهدف هذه الدراسة إلى حصر تلك القوى الروحية التي كانت تتحكم في جزء هام من المجتمع الجزائري؟ ولماذا؟ كيف تعاملت مع الوجود العثماني في الجزائر من خلال حكمه (1519-1830م)؟ ما هي أشكال هذا التعامل ومبررات ذلك؟ كيف تعاملت السلطة العثمانية في الجزائر بدورها مع تلك القوى؟ هل انعكست هذه التحالفات والتجاذبات على الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي للجزائر العثمانية؟

أولا: ملامح سياسة العثمانيين تجاه القوى الدينية المختلفة في المدن والأرياف

إن احتكاك العثمانيين بالمرابطين قبل استقرارهم في الجزائر أي منذ مرحلة الجهاد البحري التي تبناها الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط، سمح لهم بمعرفة مدى النفوذ الروحي لهم على عامة الناس، وقدرتهم على حشد العامة عند الضرورة ومن خلال تقدير سلطة شيوخ الطرق الصوفية في يوميات المجتمع الجزائري، أدرك العثمانيون أهمية هؤلاء في إنجاح عملية تعبئة العامة ضد الخطر المسيحي الذي كان يهدد الجزائر من خلال تلك الحملات البحرية المتعددة التي كانت تستهدف الجزائر ومدنها شرقا وغربا، ولذلك فعملوا على استغلال هذا التأثير لحشد الطاقات المحلية ضد هذه التحرشات الصليبية.

وهذا ما نلمسه من خلال قراءة مؤلفات تلك الحقبة التاريخية أو القريبة منها فشهادات عبد الكريم الفكون مثلاً¹ تؤكد ترجيح السلطة العثمانية في الجزائر لخيار التقارب مع الأولياء والتعويل على خدماتهم ضمن خطتهم الرامية لكسب ولاء القبائل ومد جسور التفاوض معها.²

عند البدء بتتبع سياسة العثمانيين في الجزائر مع هذه القوى داخل الحواضر والمدن، نلاحظ سعيهم داخل المدن للاستفادة من نفوذ المرابطين والعلماء والحصول على تأييدهم داخل هذه الحواضر³، وذلك للحيلولة دون تدخلهم في شؤون السلطة لاسيما وأن أعداد العثمانيين (أتراك وغيرهم) كانت قليلة دائماً بالمقارنة مع السكان المحليين، فكانوا يمنحونهم العديد من الامتيازات، كإعطائهم نسبة معلومة من مغانم البحر وإجزاء الهدايا والعطايا لهم أيام المناسبات والأعياد الدينية، ومناسبات أخرى كتتصيب الحكام الجدد أو الانتصارات العسكرية وغيرها، حتى أن هذه العطاءات قد تحولت أحياناً إلى امتيازات من النوع الروحي وبتشجيع من العثمانيين أنفسهم، حتى أضحي ضريح بعض الأولياء ملجأ لكل لاجئ إليه مهما كانت جريمته⁴، ويدخل في ذلك إكرام السلطة العثمانية في الجزائر لزواية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي⁵ وضريحه، لكونها بعاصمة الدولة ولكون الثعالبي نفسه من أبناء المنطقة الذي كسبوا احتراماً كبيراً لدى معظم الجزائريين داخل وخارج مدينة الجزائر، وربما اضمحل دور المرابطين السياسي بالمدن كطبقة اجتماعية⁶.

أما في الأرياف فقد اختلف الأمر نسبياً لأن القوى المحلية هناك من شيوخ القبائل والمرابطين، كانوا يساومون الأسياء الجدد في أمر الامتيازات التي اعترف لهم بها الأمراء القدامى، مستخدمين الضغط والتهديد بعدم مواصلة المبايعة لهؤلاء، مما جعل الحكام العثمانيين في البداية مضطرين للرضوخ لرغباتهم تلك بسبب الحاجة الماسة إليهم لا سيما في جهادهم البحري ضد الأسبان، أو لضمان هدوء الجهة الداخلية ومواجهة أي تمردات قبلية مناوئة، والثابت أن العثمانيون لم ينتصروا على الأسبان كما تذكر معظم المصادر إلا بعد جهد كبير وبمساعدة أغلبية مشايخ الزوايا والمرابطين في شرق وغرب إيالة الجزائر، وهو ما يؤكد نجاح العثمانيين في استمالة الجزائريين، اعتماداً على العامل الديني المشترك وتحول دولتهم وسلطتهم كرمز للخلافة الإسلامية في نظر الجزائريين، إضافة إلى رغبة الجزائريين أنفسهم في الاستفادة من القوة المادية المستمدة من عظمة الإيالة العثمانية⁷.

لذلك وطد الحكام العثمانيون صلتهم مع أولئك الشيوخ عن طريق استشارتهم في العديد من القضايا خاصة الدينية منها، ومن أشكال هذه الاستشارة طابع الدعاء طلباً للتأييد في السلوك

السياسي، أو عند الاستعداد للجهاد وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تقدير الحكام العثمانيين لدور هؤلاء الشيوخ في الحياة العامة وإدراكهم لمدى تأثيرهم في المجتمع الجزائري⁸.

وهكذا يلاحظ أن العلاقات كانت أعقد في الريف مما كانت عليه في المدينة فهناك المرابطون الذين توجهوا نحو التصوف الروحي كما رأينا، وهناك رؤساء أو شيوخ القبائل الذين كانوا ملزمين بالقضايا الدنيوية، فكان ظهور الحاكم العثماني يعتبر بمثابة المنافس لهم، أكثر منه كونه بطل إسلاميا، لذلك نكتشف موقفين متميزين لشيوخ الطرق الصوفية من السلطة العثمانية ضمن الحيز الريفي:

➤ موقف الشيوخ الذين لم يكن لديهم ما يخسرونه من سلطة روحية أو امتيازات مادية، وهؤلاء انظموا منذ البداية للإخوة ببروس .

➤ موقف المرابطين الزعماء الذين كانت لهم إمتيازات مادية وروحية داخل المجتمع الريفي، وهؤلاء بقي موقفهم غامضا بانتظار التطورات .

غير أن العثمانيين نهجوا سياسة حكيمة للتحكم في الريف، فنجحوا في تدعيم سلطتين حليفتين بالريف:

أ- سلطة دنيوية تمثلت في شيوخ القبائل وقادة العشائر الذين ثبتوهم في مواقعهم بغرض الاستفادة منهم.

ب- سلطة روحية تمثلت في لجوئهم لأهل الصلاح والطريقة والتصوف يتزلفونهم، ويحمونهم ويطلبون بركاتهم وعونهم على الرعية⁹.

ورغم أن المرابطين كانوا يُسمعون البايات والباشوات أحيانا حقائق قاسية فإن العثمانيين كانوا يحترمونهم ويغرقونهم بالهدايا، لأنهم كانوا وسيطهم الوحيد مع القبائل خاصة خلال الحملات العسكرية الفصليية (المحلات)¹⁰.

وانطلاقا من خطورة هذه الفئة، فقد عمل الحكام العثمانيون في الجزائر على استرضاء المرابطين، بطلبهم العفو منهم إذا ما تعرض هؤلاء أو قبائلهم لمهانة ما، كما وتبادلوا معهم الرسائل وأصدروا لصالحهم الظهائر، ولم ييخلوا على بعض شيوخ الزوايا من ذوي النفوذ بالهدايا والتقدير، وتبركوا بهم وأسقطوا عنهم الجباية وأعمال السخرة، وخوّلوا لهم جمع الزكاة والعشور لفائدة الزوايا كما شجعوا وساهموا في بناء القباب.

بل وصل الأمر إلى حد شراء بعض الحكام العثمانيين في الجزائر، صمت حتى بعض المرابطين الأدعياء بالتغاضي عن أعمالهم، ولو كانت مخلة بالأخلاق العامة، وحتى بالدين، كما لم تخلو تلك العلاقة حتى من بعض التصرفات الطائشة لبعض أولئك المرابطين فقد رثى بعضهم الولاة حتى يسكتوا عن ابتزازهم لأموال العامة، والتعدي على الحرمات والأعراض، مثل المرابط قاسم بن أم هاني الذي أنكر التأثير لله وادعى أنه يملك التصرف، وقد ثبت في العديد من المصادر أن الكثير من أنصاره كانوا يدفعون الرشى للولاة.¹¹

هكذا يتضح كيف كانت العلاقة حساسة بين الحكام العثمانيين وبعض المرابطين وشيوخ القبائل والدراويش لأن كل طرف كان يستفيد من الطرف الآخر.¹²

ومما تقدم يمكن القول أن العثمانيين سعوا إلى اكتساب تأييد القوى الدينية في ظرف مميز كان خطراً لإسبان فيه قائما، ما جعل السكان ينظرون إلى العثمانيين على أنهم المنقذين لهم من ذلك الخطر أكثر من كونهم حكاما مستبدين، خاصة وأن الوجود العثماني الحقيقي انحصر في المدن وأحوازاها، لأنه كان في البداية لا يحتاج لأخذ موارده من الداخل مادامت غنائم الجهاد البحري توفر لهم مصادر تسد حاجة الجيش، وكان ينفق منها على المرابطين وشيوخ الزوايا.¹³

هكذا وهذه السياسة نجحت حكومة الأوجاق في اكتساب دعم المرابطين ومساعدتهم لهم، أو على الأقل الحصول على حيادهم بعد أن اتخذ النزاع الإسباني العثماني صبغة دينية، فتوطن العثمانيين بإيالة الجزائر تحقق بمشاركة من المرابطين والطرق الدينية، الذين هينوا الأرضية ونفسية المجتمع الجزائري لاستقبال أبطال الإسلام وقادتهم الذين حاربوا الأسبان

ثانيا: مكانة المرابطين لدى حكام الجزائر العثمانيين:

اكتسب المرابطون والمتصوفة لدى السلطة العثمانية في الجزائر، مكانة معنوية وروحية هامة، وقد تطفن العثمانيون للدور العظيم الذي يمكن أن يؤديه المرابط، فلم يعاملوهم معاملتهم لسائر السكان من العامة، ما جعلهم يستشيرونهم ويشركوهم في المعارك والمفاوضات، كما خصصوا لهم جزءا من مداخيل الجهاد البحري¹⁴ ومنحوهم امتيازات متعددة¹⁵ لأن السلطات السياسية أدركت كما سبق الإشارة إليه أهمية تدخل الطرق الدينية المباشر في الحكم، كما أدركت تجذر الطرق في حياة العامة، مما دفعها لاحتوائها والتصالح معها، أكثر مما سعت لكبحها¹⁶ وبذلك فضل الحكام التأقلم مع المرابطين¹⁷.

كما تشير الكثير من المصادر أن العثمانيين القادمين إلى الجزائر كانوا في معظمهم من العامة الذين تجندوا في الجيش العثماني طلباً للرزق، وكانوا هم أيضاً يبجلون المرابطين، فالجندي الإنكشاري عندما يحل بالجزائر يحمل معه عقلية ما مارسه معه الدراويش في موطنه الأصلي، فيجد في الجزائر مرابطين آخرين يزودونه بالبركات والدّعاوات كلما خرج للغزو البحري تماماً كما يفعل آبائهم في الأناضول والبلقان¹⁸، فقد كانوا قبل القيام بالغزو يدخلون لزواية والي دادة أو ضريح سيدي بتقة (أبي التقى) وغيرهما طالبين من الأولياء البركة والنصر¹⁹.

هذا الاحترام كان عن عقيدة متينة وفعلية حتى بالغ العثمانيون في تعظيم المرابطين وإكبارهم، حيث لجؤوا إليهم للتبرك ولاستشارتهم، مما يدل على الثقة المتبادلة، فهذا بيبري راييس ظل مع عمه كمال راييس شتاتين منذ سنة 901هـ/1495م ببجاية في زاوية المرابط محمد التواتي²⁰.

فيما هنالك رأي آخر يرى أن العثمانيين بالجزائر لم تكن لهم أي ميول دينية لهذا لم ينشغلوا بتطوير الثقافة الدينية، وما اهتمامهم الضئيل بأمور الدين إلا لانعكاسها على الحكم والأمن والاستقرار بالبلاد فقط، حيث اتبعوا سياسة معينة لإدراكهم تأثير المرابطين على العامة، فسعى العثمانيون للفوز بدعمهم أو على الأقل الحصول على حيادهم²¹.

كما لم يحاول العثمانيون ربط المرابطين برباط رسمي، خوفاً من ضياع هيبتهم لدى العامة، واكتفوا بمنحهم شهادات الاحترام والتقدير، مما رفع مقام المرابطين عند العامة، هذا الرباط المعنوي السري كان فعالاً حيث سمح لحكام الجزائر بممارسة حكمهم بقوات قليلة نسبياً.

ويجد الباحث أن العلاقة بين العثمانيين والمرابطين توطدت منذ أن صار صيت الإخوة ببروس في الحوض الغربي للمتوسط خاصة بين سكان مدينة الجزائر، ولاسيما بين الصلحاء والمرابطين الذين كانوا يدعون الناس للجهاد ومحاربة الإسبان المستولين على معظم الموانئ وكان على رأسهم المرابط أحمد بن القاضي الزواوي²².

حيث عمل عروج على كسب مساعدة معنوية من السلطات الدينية رغم أنه قتل سليمان التومي عندما أراد إستعادة نفوذه على مدينة الجزائر²³، لكن المرجح أنه تصالح مع عائلة التومي بتدخل من خليفة الولي سيدي عبد الرحمن الثعالبي²⁴، لأن الحق ضد العدو المسيحي أضحى نقطة تفاهم وتلاق بين الطرفين.

أما خير الدين فممن أن كان بتونس في 921هـ/1515م، فإنه نجح بفضل تبجيله للعلماء المحليين وعمله بعد ذلك مع أخيه عروج على أن يثبت مكانة المرابطين باحترامهم واستشارتهم والأخذ برأيهم وقد كانت لسياته تلك مجموعة من النتائج:

- تزكية العلماء لجهاده البحري والدعاية لها .
- ميل علماء مدينة تنس إليه وتخليهم عن أميرها الذي انقلبوا عليه وأباحوا دمه الأمر الذي جعله يهرب من المدينة .
- رفضه في سنة 925هـ/1519م قبول فدية الشخصيات الكبيرة التي وقعت في قبضته خلال الإنزال الذي قام به الاسبان في تلك السنة في الجزائر بقيادة هيغو دو مونكادا، إحتراما لرأي علماء الجزائر ومرابطيها .

كما استبقى خير الدين على المرابطين إلى جانبه، حيث كان باستمرار يغدق عليهم بالمال ويحتفي بهم، ففي 942هـ/1535م زار ولي البليدة سيدي أحمد الكبير، ومقابل دعائه له بنى خير الدين له ولأتباعه المورسكيين مسجداً وبقره فرن وحمام²⁵، وعلى نهجه سار خلفاؤه من الحكام العثمانيين، مثل رجب باي التيطري الذي أعفى كل الشرفاء من الضرائب وأعمال السخرة وذلك في جمادى الأولى 9هـ/1548م، كما أعفى العثمانيون المرابط ابن شعاعة، تلميذ الملياني وصاحبه من الضرائب.

ثالثاً: أساليب تعامل السلطة العثمانية مع بعض القوى الروحية الداخلية وعوامل تغيرها

يستطيع الباحث في تاريخ الجزائر في القرن 10هـ/16م، أن يرصد مواقف عديدة للسلطة من القوى الدينية المتمثلة أساساً في المرابطين، وأتباع الطرق الصوفية ومشايخهم في المدن والأرياف في مركز الدولة وفي أقاليمها أو بآلياتها وسياساتهم تجاهها وكيف أن تلك المواقف تحددها أو ترسمها إلى حد كبير مصالح الطرفين، فالتقارب والتباعد والتودد والتنافر يخضع إلى مصالح هذا الطرف أو ذاك، فها هي مثلاً المنازعات التي حدثت بين إمارة كوكو بالقبائل الكبرى، وإمارة بني عباس بالقبائل الصغرى تضعفهما مادياً ومعنوياً وتجعلهما أكثر انقياداً للسلطة المركزية.

فيما لم يتوانى العثمانيون عن أسلوب الاغتيالات والمؤامرات لتحديد هذه العلاقة بما يخدمهم، فقبل ذلك وعندما تضايق العثمانيون من سلطة ونفوذ كل من ابن القاضي²⁶ وسليم التومي، اغتالوا هذا وتحاليلوا على ذاك، إلى أن اغتيل من طرف أحد خاصته²⁷، ورغم الاتفاق الذي وقع في 935هـ/1529م بين خير الدين والحسين بن القاضي، والذي اعترف فيه خير الدين

بالأخير حاكما على كوكو ومنطقة القبائل، مقابل إقراره بالسيادة العثمانية²⁸، بقيت إمارة كوكو تنأوي العثمانيين إلى أن تقرّب صالح رايس (959-963هـ/1552-1556م) من أمير كوكو وصاهره، بعد مساعدة قبائل الزواوة له في فتح مدينة بجاية²⁹.

وإدراكا منهم أيضا لضرورة عدم فتح العديد من الجهات فقد تحالف العثمانيون مع أمراء بني عباس لبعض الوقت لمد نفوذهم إلى تلمسان في 952هـ/1545م و957هـ/1550م وتقررت في 959هـ/1552م وورقة³⁰.

كما كان الحكام العثمانيون يستعينون بالمرابطين عند ثورة السكان وتمردهم على الحكم المركزي، لهدئوا الوضع وفي مقابل ذلك كانوا يغدقون عليهم بالهدايا، كما فعلوا مع المرباط سيدي محمد أمقران في القرن (10هـ/16م) الذي عمّ نفوذه منطقة بجاية وجيجل، حيث إتصلت به الحامية العثمانية مانحة إياه عدة إمتيازات.

أما في الغرب الجزائري الذي كان للقوى الدينية فيه سلطة كبيرة فيلاحظ أن العثمانيين أبقوا بشكل واضح على امتيازات المرباطين التي حصلوا عليها منذ عهد الزيانيين لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، ويعد المرباط أحمد بن يوسف الملياني من أبرز المرباطين الذي كانوا محل خشية الزيانيين لإلتفاف الناس حوله لكراماته فسجنه أبو حمو الثالث لكنه عندما رأى كراماته أطلق سراحه وتركه وشأنه غير أن الملياني ظل في تلمسان إلى أن خرج أبو حمو الثالث منها هاربا إلى وهران، حينئذ خرج الملياني بدوره من المدينة.

ويعود التحالف بين الإخوة بربروس والملياني إلى سنة 923هـ/1517م أو ربما قبل هذا التاريخ حيث نال خير الدين بركة الشيخ، بعد أن اشترط الملياني أن لا يجري حكم العثمانيين عليه، ولا على نسله ولا على من تعلق به وبنسله، رغم أن خير الدين منحه أربعة آلاف دينار، وعيّن له منحة قدرها ثمانية صيعان من القمح كل سنة، عند ذهاب الحجّاج إلى الحرمين، لأن الملياني تخوّف من العثمانيين بعد فعلتهم بتلمسان³¹.

أما في الشرق الجزائري فإن العلاقة مع القوى الدينية كانت متنوعة تبعا لقبول هذه الأخيرة الولاء لهم أو رفضها، فتلك التي قبلت الولاء للعثمانيين حظيت بكل أنواع الإحترام والتبجيل والإعفاءات، كما فعل باي قسنطينة الذي أعفى العائلات المرباطية بجمال البابور من الضرائب، وهناك من لم يدفعوا قط الضرائب مثل الوكاكسة بمنطقة تبسة لأن العثمانيين غصوا الطرف عنهم إحتراما لجدهم بووكس على الأرجح، وهو نفس الأمر الذي فعلوه مع عائلة الفكون بقسنطينة.

ويمكن القول أن ضعف الخطر الخارجي بالشرق لم يُؤدِّ إلى حلف عثماني مرابطي على غرار ما حدث بالغرب، مما جعل العامل الروحي للطرق والمرابطين بالشرق الجزائري أقل أهمية منه بالغرب الذي تعرض لغزو إسباني قوي.

ومما تقدم يمكن القول أن العثمانيين بحثوا عن نفوذ روحي لأنهم كانوا قلة بالبلاد مقارنة بالسكان، رغم تفوق نظامهم العسكري خاصة أن أهالي أغلب المناطق كانوا ينظرون إليهم بشيء من الحذر، فبحثوا عن تأييد المرابطين راجين منهم المساعدة لفتح المناطق التي إستعصت عليهم، وكيف أن الخطر المسيحي كان نقطة إلتقاء حتمية بين القوتين: القوة العسكرية العثمانية والقوة الدينية المرابطية.

رابعاً: موقف الطرق الصوفية من الحكم العثماني بالجزائر بين التوائم والتصادم:

إن المتأمل لتاريخ العلاقة بين الحكام الأتراك العثمانيين في الجزائر والجزائريين عموماً، يدرك أن هذه العلاقة كانت شديدة التأثير بتدخل سلطة مشايخ الطرق الصوفية سلماً أو إيجاباً، وأنها لم تكن ذات حالة واحدة وغير قارة، لذلك يمكننا أن نميز بين ثلاثة مواقف واضحة لدى تلك الطرق الصوفية في تعاملها مع الإدارة العثمانية.

أ- **المنصف الأول:** رجال ومشايخ الطرق الذين أيدوا الوجود العثماني منذ البداية، حيث هؤلاء تحالفهم الواضح مع العثمانيين ضد الإسبان واستمر بعضهم في مساندتهم لهم حتى أواخر عهدهم ومن أمثلة ذلك ما جاء في رحلة بيبري راييس العثماني، من أن الشيخ محمد التواتي كان يحمي مدينة بجاية من الإسبان، وأن زوايته كانت ملجأ للمجاهدين وغزاة البحر³²، إذ لجأ بيبري رفقة عمه كمال راييس إلى زاوية الشيخ محمد التواتي، وطلب منه المساعدة سنة 901 هـ³³، فما كان منه إلا أن رحب بهما وقدم لهما يد العون وعن عائلة بن القاضي التي تسكن إمارة كوكو وجبال جرجرة، فقد قدم شيخها الحسن بن القاضي أيضاً يد المساعدة للعثمانيين، إذ قاد هذا الأخير الوفد الذي أرسله خير الدين إلى سلطان العثماني سليم الأول ليقتراح عليه ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية، ولو أنه فيما بعد قد غير موقفه³⁴، أما أحمد بن يوسف الملياني فيذكر التاريخ كيف قدم العون لعروج الذي استغل بدوره فرصة الخلاف بين الدولة الزيانية والملياني من أجل ضم حليف له يساعده على الاستيلاء على تلمسان، حيث زار عروج دار الملياني واتفق معه سرا، على عدة أمور، منها أن يعلن الملياني وأتباعه تأييدهم للعثمانيين، بينما تعهد عروج بعدم التعرض للملياني ولنسله ولمن تعلق به³⁵.

وقد أُشهر هذا التحالف والتزم به الطرفان طيلة العهد العثماني، ولم ينس خير الدين باشا أن يرسل من الجزائر هدايا ثمينة إلى الملياني بعد نجاحه في ضم تلمسان، كما اعترف لاحقا بآبن الملياني كخليفة لوالده في رئاسة الطريقة الشاذلية وسمح له بنشر دعوتها، ويقال أيضا أن حسين باشا كان متزوجا من إحدى حفيدات الملياني .

أما في قسنطينة فقد نجح العثمانيون في استمالة الشيخ عبد الكريم الفكون إلى جانبهم من أجل تأكيد نفوذهم في المنطقة، بعد أن التمسوا منه الموافقة والرغبة في التحالف معهم، وقد ساعدهم هذا التحالف على التوغل نحو الداخل، والحصول على ملامح طاعة العديد من القبائل بالمناطق التالية، والتقدم تدريجيا نحو الجنوب الشرقي في محاولة لإنهاء تحصن أولاد صولة بجبال الزاب³⁶، وفي مقابل ذلك حصلت عائلة الفكون على امتيازات كبيرة خاصة في المجال الاقتصادي، فتمكنت من الارتقاء في الحياة والسلطة ومن بين هاته الامتيازات ما يلي:

- قيادة بعثة الحج، مع الحق الكامل في اختيار أعضاء القافلة والاستفادة من هذه المهمة ماديا بقدر الإمكان .

- إدارة جميع أوقاف الجامع الكبير دون مراقبة ولا محاسبة من طرف السلطة العثمانية.

- إعفاء جميع الأوقاف التابعة للعائلة وجميع أملاكها في المدينة وفي الريف من الضرائب ومن كل الغرامات .

- الإعفاء أيضا من الغرامات والسخرة، وحق دخول المدينة والخروج منها، وحق توفير الطعام والسكن.

- استفادة العائلة من نيل الهدايا والعطايا العقارية وغيرها، ومن حق العشر من الزرابي والخشب المحول من نواحي الأوراس إلى قسنطينة ومن حق المكوس على أسواق الخضرة والفواكه، ومن جهة أخرى فإن جميع من يلتجئ إلى العائلة سواء في المنزل أو غيره، ولو خارج المدينة، مصون لا يتعرض لأي عقوبة ولو ارتكب جريمة³⁷ .

أما في عنابة فقد تآزرت عائلة ساسي البوني مع العثمانيين ومدت لهم يد المساعدة، إذ توطدت بينهم علاقة حميمة على مر الزمان وتتجلى هذه العلاقة من خلال الرسائل المتبادلة بين محمد ساسي البوني ويوسف باشا الجزائري من جهة، وبين أحمد بن قاسم البوني وأحمد بكداش من جهة أخرى وفي منطقة الشلف نجد أن العثمانيين قد أتبعوا مع الشيخ محمد بن المغوفل³⁸ نفس الطريقة التي اتبعوها مع الشيخ الملياني، إذ كان للمغوفل نفوذ على قومه لذلك

كان أول من قصده العثمانيون في هذه الجهة وطلبوا إليه مبايعتهم ومناصرتهم على الزينيين، ومباركة حملتهم عليها، فكان لهم منه ما أرادوا³⁹.

ب - الصنف الثاني: ويمثله مجموعة من رجال التصوف الذي عارضوا بشدة أسلوب حكم العثمانيين الأتراك في الجزائر واعتبروه تسلطا ووصفوه بنعوت شديدة ومن ثمة أعلنوا تمردهم عليهم، ومن أمثلة ذلك ما قام به أحمد بن ملوكة التلمساني، الذي عارض القائد عروج عند دخوله مدينة تلمسان ونظر لسياسته أنها عدوان على التلمساني ولا بد من التصدي لها ومحاربتها⁴⁰.

ومما يذكره أبو القاسم سعد الله في ذلك أن معظم المرابطين في تلمسان ونواحيها كانوا ضد الأتراك، ومنهم الشيخ موسى اللاتي والشيخ عبد الرحمن اليعقوبي⁴¹ ومن بين المعارضين أيضا الحسن بن القاضي الذي كان في البداية من المؤيدين، ثم ثار هذا الأخير ضد خير الدين سنة 1520 م وتمكن من إخراجه من مدينة الجزائر والسيطرة عليها لفترة خمس سنوات، قبل أن يسترجعها منه خير الدين سنة 1525 م، وكذلك حفيده عمر بن القاضي، الذي كان أيضا بمنطقة بني خيار ببلاد زاوة⁴²، والذي إندفع للتحالف مع الملك الإسباني فليبي الثالث في جوان 1603 بغرض التصدي للانكشارية لكن المرابط سيدي منصور كشف المؤامرة، وكان معاديا للتقارب بين عائلة بن القاضي والإسبان واستقبل الجيش التركي في منطقة بني حنادشة سنة 1618 وتعاون معه على ابن القاضي والإسبان، هذا وقد عرفت مرحلة عثمان باشا (1766-1791)⁴³ بدورها تمردات مختلفة، ومن أمثلة ذلك ما أقدم عليه سكان جبل فليسة بمنطقة جرجرة ببلاد القبائل الذين خرجوا عن طاعة الأمير ومنعوا الزكاة وحرموا البنات من الإرث⁴⁴، وفي سنة 1789⁴⁵ بعث إليهم عثمان باشا بفرقة تأديبية، لكنها وجدت مقاومة عنيفة وانهزمت في الحملة الأولى والثانية ولم تستطع الانتصار عليهم إلا في الجولة الثالثة بعد أن عزز الباشا جنده، كما عرفت مرحلة الدايات (1671-1830) مع مستهل القرن التاسع عشر، أخطر تمرد قادته الطريقة القادرية ضد الحكم العثماني في الجزائر بقيادة زعيمها ابن الشريف الدرقاوي⁴⁶، حيث يضع المؤرخون لحركات التمرد تلك مجموعة من التفسيرات والأسباب نوجزها فيما يلي:

- السياسة الضريبية القاسية التي فرضها بعض الولاة بالقوة على الفلاحين.
- عداوة ومحاربة بعض بايات وهران لرجال التصوف والطرق الدينية، حيث يذكر الناصري مثلا أن الداوي مصطفى طالب بتضييق الخناق على الطريقة الدرقاوية، وأمر بإلقاء القبض على زعيمها عبد القادر ابن شريف الذي اختار الصحراء لاستعداده للثورة⁴⁷، بعيدا عن عيون الحكام ومواليهم.

- وجدير بالذكر أن هذا التمرد قد لقي مباركة ودعمًا من سلاطين المغرب الأقصى، بغرض إضعاف شوكة العثمانيين في الإقليم الغربي من الجزائر، الذي كان حلم المغاربة منذ سقوط الدولة الموحدية⁴⁸.

ورغم استعدادات ابن الشريف لسنوات عديدة وتمكن قواته في البداية من دحر الجند العثماني، والوصول إلى مشارف وهران لكن التمرد كان في النهاية مآله الفشل بعد أن عين داي الجزائر الباي محمد بن المقلش سنة 1805⁴⁹ على القطاع الوهراني الذي رجح من جديد كفة الميزان لصالح الحكومة المركزية.

كما هناك تمردات وانتفاضات أخرى كانت متزامنة تقريبا مع الثورة الدرقاوية وعلى رأسها ثورة ابن الأحرش بمنطقة الشرق وتحديدًا في منطقة الشمال القسنطيني⁵⁰، وقد اعتمد ابن الأحرش في حركته تلك على أسلوب الدعاية والترشيد إذ استقر بزاوية الزيتون بضواحي مدينة جيجل ومنها طالب بقيام حكومة على حساب بايلك الشرق وأمر رجاله بمهاجمة الحاميات التركية ووصلت طلائعه إلى ضواحي قسنطينة خلال ربيع 1804م حتى نجح في دخولها والاستيلاء على كثير من مخازنها⁵¹، لتتواصل وخلال السنتين 1806-1809م تواصلت المعارك من جديد بين ابن الأحرش ومعارضيه في سهول بجاية وضواحيها لكنه فشل أمام قوة الباي وجيشه ولم يجد ابن الأحرش من مخرج إلا التوجه نحو الغرب الجزائري وتعزيز العلاقة والتنسيق مع الطريقة الدرقاوية، حيث كان معه حلفائه من أولاد عطية لكن العثمانيين في آخر الأمر استطاعوا إخماد ثورة ابن الأحرش بالتعاون مع الدرقاوين⁵².

أما في المنطقة الجنوبية فتظهر الطريقة التجانية بمعارضتها الشديدة للسلطة العثمانية في الجزائر، فمنذ قيام شيخها محمد التجاني سنة 1806م بتعزيز علاقته مع سكان منطقة غريس بالقطاع الوهراني الذي بايعه أهلها سرا، وهو الأمر الذي أقلق السلطة العثمانية، وقع إصطدام بين الطرفين أحدهما مع باي وهران محمد الكبير بمنطقة عين ماضي بضواحي الأغواط والثاني مع باي التيطري، ولكن رجحان كفة العثمانيين دفع بالتجاني إلى الانسحاب، ثم مغادرة الجزائر مع أهله وأتباعه نحو المغرب الأقصى⁵³.

ورغم إخماد ثورة ابن الأحرش وهجرة الشيخ التجاني إلا أن المعارضة للسلطة العثمانية في الجزائر، استمرت في بعض مناطق الوطن وخصوصًا نهاية القرن 18 فمعارضة رجال الدين والمتصوفة لم تتوقف وإن ضعفت كثيرًا، إذ أنه أيام تولي حسين باشا آخر الدايات حكم

الجزائر⁵⁴ شهدت فترة حكمه أيضا العديد من الاضطرابات عبر مناطق مختلفة من الوطن قادتها قبائل ثائرة ومتحالفة مع رجال الطرق، من أبرزها منطقة القبائل التي شهدت اضطرابات متعددة خلال أكتوبر من سنة 1823⁵⁵، كما قام سكان بجاية أيضا بأسر المفتي الحنفي العثماني واحتفظوا به رهينة لديهم، وعندما تدخلت الدولة العثمانية المركزية لتحريره اتصلت بعض الأطراف بالقناصل الأوروبية طلبا للحماية⁵⁶.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن جلّ الثائرين على السلطة العثمانية قد ظهروا خلال منتصف القرن 18، اذا استثنينا من سبق ذكرهم ممن أبدوا المعارضة منذ بداية ظهور الإخوة عروج على مسرح الأحداث السياسية للجزائر، ولعل تفسير تركيز التمردات تلك في هذه الفترة أي مع نهاية الوجود العثماني في الجزائر، هو فقدان الثقة بين بعض الجزائريين والسلطة العثمانية، وبشكل خاص نتيجة لإرهاق الأهالي بالضرائب في ظل الإنكماش الكبير لموارد النشاط البحري مع مطلع القرن 17 والتي كانت المورد الأساسي لخزينة الدولة، فكلما قلت موارد الأسطول البحري لجأت حكومة الإيالة إلى زيادة عبئ الضرائب على السكان، مما يثير حفيظتهم.

ج - أما **الصنف الثالث** والأخير فقد كان معتدلا في التعامل مع السلطة العثمانية ولا يفضل الاصطدام معها إيماننا منه بأهمية الإستقرار حتى لا تمنح الفرصة للأعداء خاصة خارج الجزائر، فكان يكتفي بإعطاء النصائح والتوجيهات للسلطة العثمانية من دون أن يصل إلى مرحلة المواجهة معها، وبذلك فهم لم يؤيدوا العثمانيين كل التأييد ولم ينقموا عليهم كل النقمة، ولعل من أمثلة ذلك " الشيخ العبدلي" في إقليم تلمسان الذي كان على علاقة بالقائد العثماني محمد بن سوري وكان كثيرا ما يعظه ويطالب منه مطالب في صالح أهل البلاد"⁵⁷، فيما كان للشيخ الشليحي دور كبير في تغيير موقف باي قسنطينة حسن بوحنك تجاه الأولياء والصالحين فبعد أن كان عنيدا متمردا عليهم، أصبح بفضل كريمة ومتصالحا معهم⁵⁸، إذ أنه أعطى للمرابط الشليحي قصرا في المكان المعروف باسم الأربعين شرين الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم دار الشليحي، كما أنشأ له زاوية في أولاد عبد النور وأمر بإعفاءها من الضرائب⁵⁹.

خاتمة:

يلاحظ مما سبق عرضه أنه ومهما يكن من مواقف رجال الطرق الصوفية وعلاقتهم بفئة الحكام العثمانيين في إيالة الجزائر والتي تميزت بكثير بالتباين والاختلاف من مرحلة لأخرى ومن حاكم لآخر، إلا أننا نخلص لمجموعة من الاستنتاجات، فقد كان لهؤلاء حضور اجتماعي وديني

أكيد ونفوذ كبير داخل المجتمع الجزائري حتى قبل الوجود العثماني في الجزائر، الأمر الذي جعل العثمانيين مع دخولهم للجزائر 1518م، يبدوون نحوهم مزيجا من الاحترام تارة نتيجة مركزها الديني محليا وإسلاميا، وشعور آخر من الريبة والتخوف منها خشية أن تستغل هذا المركز للتمرد على الحكام العثمانيين أو محاولة ابتزازهم، وهو ما دفع بهؤلاء الحكام إلى استخدام كل الأساليب، في محاولة لكسبهم أولا والاستفادة منهم للسيطرة على الأرياف والمدن وذلك بالتزلف لهم ومنحهم العطايا والامتيازات المختلفة وخدمة شؤونهم، وإما اللجوء إلى القوة أحيانا لتحبيد هم متى وجدوا في هذه الطرق معارضة شرسة لهم.

ومما يستنتج أيضا أن هذه الطرق نفسها كانت في حاجة لوجود سلطة مركزية قوية، قادرة على مواجهة التحرشات الخارجية والخطر الصليبي الذي ظل يهدد الجزائر إلى غاية تمركز العثمانيين بها، مما جعل هذه الطرق ترجح العامل الديني أي الإسلام لقبول الوجود العثماني في الجزائر رغم نقائصه.

إن التوتر الذي حدث بين بعض هذه الطرق والحكام العثمانيين في الجزائر، خاصة في المراحل الأخيرة للوجود العثماني في الجزائر، هو نتيجة لعوامل اقتصادية، وصراع مع قيادات بعينها، ولا يعكس بأي حال شعورا جزائريا عاما بالرغبة في الثورة على العثمانيين.

ومها يكن فإن المتأمل في الخريطة الجيوسياسية للجزائر العثمانية (1518-1830م)، يلاحظ توزع القوى ما بين هذين الطرفين، فبينما شكل الحكام العثمانيون السلطة الزمنية بإمتياز، فإن الطرق الصوفية والمرابطون شكلوا بدورهم سلطة روحية ذات وزن وحضور مهم، وأن إستقرار الأوضاع كان مرتبطا فعلا بحسن العلاقات بين الطرفين، وأن دخولها في صراع أدى إلى إضعافهما معا، وكان من أبرز العوامل التي مهدت للاحتلال الفرنسي للجزائر وتراجع دورهما بداية من 1830م.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- 2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- 3- أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 4- لطفي عيسى، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17، سراس للنشر، تونس، 1994.

- 5- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
- 6- كمال عمران، الثقافة الإسلامية مظاهر التجريب والتجريد، الدار التونسية للنشر، 1992، ص 114
- 7- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبيري إلى التحرير، ج 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1999.
- 8- عبد الله نجعي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكرة (ق 16-17م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000
- 9- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تق وتغ وتع: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 10- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة.
- 11- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985.
- 12- محمد الأمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، ط 2، داركتاب الغد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 13- محمد الأمين بلغيث، النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدواني في المجلة التاريخية المغربية (العهد الحديث والمعاصر)، العدد 117.
- 14- محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي بو عبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972 .
- 15- مرمول كرخال، إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989/1988
- 16- سينسر ترمينجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997 .

الهوامش:

- 1- ولد عبد الكريم الفكون بقسنطينة سنة 988هـ / 1580 م، ينتمي مترجمنا لأحد أعرق وأشهر البيوتات العلمية في مدينة قسنطينة: بيت آل الفكون، التي توارث أفرادها منذ عهد بعيد المجد والرئاسة، والعلم والصلاح. طلبه العلم وشيوخه: نشأ الفكون في كنف والده الذي هو كان أول شيوخه فحفظ على يديه القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة، ثم عكف على تحصيل مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ثم تولاه كبار شيوخ عصره من أمثال سليمان القشي، عبد العزيز التفاتي الذي قرأ عليه الحساب وبعض الفرائض، أبو عبد الله محمد الفاسي المغربي، الذي قرأ عليه الاسطرلاب وبعض الفرائض، محمد التواتي المغربي ومحمد بن راشد الزواوي، وقد كان لهذين العالمين الأخيرين تأثير كبير في اتجاهه نحو دراسة النحو و التضلع فيه .

وكان محبا للمطالعة وتنقيف نفسه، فكان كثيرا ما يعتكف على القراءة وحده من مكتبة العائلة الزاخرة بأهميات الكتب والمخطوطات، التي جمعها شيوخ العائلة خلال عقود من الزمن.

الوظائف والمهام التي تولّاها: تولى التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة في حياة والده الذي كان ينييه عنه أثناء غيابه رغم صغر سنه نسبيا، وقد ظهرت عليه مخايل النبوغ والذكاء في سن مبكرة فكان بارعا في "فنون العربية لغة ونحوا وتصريفا وبلاغة مع المشاركة التامة في الفقه والأصولين الحديث والتصوف وغير ذلك"، كما درّس في زاوية العائلة وفي مصلى بيته، وفي المدرسة التابعة لعائلة الفكون فكان يستقبل الطلبة من قسنطينة ومن غيرها من نواحي القطر خصوصا من منطقة زواوة ومن منطقة الجزائر وما حولها، ومن منطقة الزيبان وعنابة، وكان يُدرّس التفسير وصحيح البخاري والفقه من ابن حاجب والرسالة والنحو .

وبعد وفاة أبيه عام 1045 هـ خلفه في إمامة المصلين والخطبة أيام الجمع والأعياد، والسهر على أوقاف الجامع الكبير، كما تقلّد إمارة ركب الحج وحصل على لقب شيخ الإسلام بعد أن بلغ نفوذه العلمي والروحي ذروته .
توفي بالطاعون عشية الخميس 27 ذي الحجة 1073 هـ الموافق ل-3 أوت 1663 م عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، صص 37-69.

2- لطفي عيسى، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17، سراس للنشر، تونس، 1994، ص111 .
3- كورين شوفالبيه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص86 .

4- شوفالبيه نفسه، صص 87-88 .
5- ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة 786هـ/ 1384م بمنطقة يسر ولاية بومرداس، و نشأ في بيئة علم ودين وصلاح، تلقى تعلمه على يدي علماء منطقته. تولى سيدي عبد الرحمن الثعالبي القضاء بالجزائر ومشيختها ولكنه تخطى عنهما ورفضهما وفضل القيام بالتعليم، فalcضاء والمشيخة رأى أنه موجود من يقوم بهما وبقي في وسعه أن يصلح بين الناس ويرشدهم لما فيه الخير والفلاح، ولهذا أصبح الثعالبي يتمتع باحترام تام لدى الخاص والعام وخاصة وجهاءهم، وقد دفع هذا الاحترام والتبجيل إلى بناء مسجد قرب منزله وأسموه باسمه "مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي" وبعد موته دفن بالمكان الذي كان يعلم فيه الطلبة قرب بيته وكان يسمى آنذاك بـ "جنان الطلبة" .

توفي الثعالبي يوم الجمعة 23 رمضان 875هـ منتصف شهر مارس 1471م ودفن في زاويته بالقصبة بالجزائر العاصمة حيث ضريحه بها إلى اليوم. بني ضريحه على يد العثمانيين سنة 1612م. أنظر: عبد الرزاق دحمون، الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، دار ابن حزم، 2009، صص 10-19.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، صص 92-93 .
7- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبيري إلى التحرير، ج3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1999، ص46 .

8- كمال عمران، الثقافة الإسلامية مظاهر التجريب والتجريد، الدار التونسية للنشر، 1992، ص114
9- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص145 .
10- نفسه، ص145.

- 11- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، ثق وتحم وتنع : أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص 121-131 .
- 12- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 471 .
- 13- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، ص 38 .
- 14- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985، ص 58 .
- 15- محمد الأمين بلغيث، النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدواني في المجلة التاريخية_المغربية_(العهد الحديث والمعاصر)، العدد 117، 2004، ص 40 .
- 16- سبنسر ترمينجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 356 .
- 17- نفسه، ص 83 .
- 18- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 190 .
- 19- كورين شوفالبيه، المرجع السابق، ص 87 .
- 20- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 191 و ص 464 .
- 21- شوفالبيه، المرجع السابق، ص 86
- 22- العروي، المرجع السابق، ص 44 .
- 23- سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 211
- 24- شوفالبيه، المرجع السابق، ص 32 .
- 25- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص 158
- 26- محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972 . ص 176 .
- 27- شوفالبيه، المرجع السابق، ص 48.
- 28- نفسه، ص 133 .
- 29- سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 211 .
- 30- مرمول كريخال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988/1989، ص 386 .
- 31- عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق16-17م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000، ص 102 .
- 32- أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 121 .
- 33- سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 464 .
- 34- بعد أن كان ابن القاضي مؤيد لدخول الأتراك إلى الجزائر، ثار ضد خير الدين وأخرجته من مدينة الجزائر سنة 1520 مما أدى بخير الدين إلى الانسحاب إلى جيجل وبعد 5 سنوات تمكن من الانتصار عليه وفرض غرامة على اتباعه،

- أنظر : أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 109 .
- 35- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 465 .
- 36- محمد الأمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، ط2، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص50.
- 37- سعد الله، المرجع السابق، ج2، (ص 520-521).
- 38- كان ابن المغفل من مشاهير صلحاء الشلف أوائل القرن العشرين، اتصل به العثمانيون بغرض مساعدتهم في الإستيلاء على تلمسان، وطلبوا منه التوجه معهم لكنه رفض أن يذهب معهم وأرسل بدله ولديه مما يدل على علامة الرضى والتأييد، أنظر : ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 143.
- 39- سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 55 .
- 40- سعد الله، نفسه، ص 467 .
- 41- نفسه، ص ص 468-469 .
- 42- تنتمي قبيلة الزاوية إلى منطقة بجاية حصلت على وضع قبيلة المخزن خلال العهد العثماني، كما كانت تقوم القوامات للإيالة الجزائرية، حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص35.
- 43- أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 122 .
- 44- يمكن اعتبار لجوء سكان منطقة القبائل إلى حرمان البنات من الإرث بهدف منع انتقاله إلى الفئة التركية، خاصة بعد انتشار مصاهرة الحاكم لفئة المتصرفين، حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 42.
- 45- أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، (ص122-123).
- 46- محمد أمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، المرجع السابق، ص65.
- 47- بعد ضعف موارد البحر وانخفاض الصادرات أصبح الدايات بحاجة لتغطية العجز مما دفعهم لتكثيف الحملات العسكرية على القبائل لجمع الضرائب، أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص150 .
- 48- محمد أمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، المرجع السابق، (ص 65-66).
- 49- أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 124.
- 50- محمد أمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، المرجع السابق، ص 66.
- 51- أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 127.
- 52- سعد الله، المرجع السابق، ج2، (ص 509-510).
- 53- محمد الأمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، المرجع السابق، ص66.
- 54- أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص127.
- 55- نفسه، (ص 121-130).
- 56- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج2، ص462.
- 57- أحمد مريوش، المرجع السابق، (ص 129-130).
- 58- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج2، ص468.
- 59- نفسه، (ص 469-470).